Journal of Islamic Sciences
Volume (4), Issue (2): 30 Jun 2021
P: 1 - 16

ISSN: 2664-4347

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد (4)، العدد (2): 30 يونيو 2021م
ص: 1 - 16

A pause with the Verses of Bahrain in The Holy Quran

Awad Mohammed Ahmed Kambal

Omdurman Islamic University || Sudan

Abstract: The essence of this topic is the conversation about (The Verses of Bahrain) mentioned in the Book of God Almighty, as these verses are mentioned five times in the Qur'an. The honorable one, and that is why this research was the subject of five investigations. The researcher spoke in those investigations about the verses in which the word (Bahrain) came in Deuteronomy, The researcher dealt with the many benefits and blessings of these seas, as their fresh and salty waters have many benefits, and countless and countless goodies, and there is the great divine wisdom in the isthmus and the interdicted stone, which was mentioned in those verses, and the differences of scholars in the past and present in that barrier, and how modern science has interpreted that. In the course of the research, the researcher mentioned the living creatures that live inside these seas, as well as extracting pearls and coral from the depths of these vast oceans, and seeing the large ships that pierce the water in an enormous way back and forth, all with the power of God Almighty.

As for the method and nature of the study, it is represented in the inductive analytical method, by collecting the verses in question, explaining and interpreting them according to the pleasure of the Almighty God from ancient and modern sources, and this method is what researchers follow in such research. The most important results of this research can be summarized as follows:

The seas have a great variety of importance and that is why they took a good space from the Holy Book. And that the Signs of the Sea include a scientific miracle that modern science recently discovered. That the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, did not explain such verses, because the time has not yet come for them. That such verses clearly indicate the greatness and enormous power of God.

Keywords: The Bahrain complex, the meeting complex, the sweet and salty seas, the prairie, the isthmus, the barrier, the quarried barrier.

وقفة مع آيات البحرين في القرآن الكريم

عوض محمد أحمد كمبال

كلية أصول الدين || جامعة أم درمان الإسلامية || السودان

المستخلص: تناول هذا البحث (آيات البحرين) الواردة في كتاب الله تعالى، إذ وردت تلك الآيات خمس مرات في القرآن الكريم، ولهذا كان هذا البحث موضوعاً على خمسة مباحث، تحدث الباحث في تلك المباحث عن الآيات التي جاءت كلمة (البحرين) فيها بالتثنية، والهدف الرئيس للبحث هو ما لهذه البحار من الفوائد والنعم الكثيرة، فمياهها العذبة والمالحة لها فوائد عديدة، وخيرات لا تحصى ولا تُعد، وهنالك الحكمة الإلهية البالغة في البرزخ والحجر المحجور، الذي ورد في تلك الآيات، واختلاف العلماء قديماً وحديثاً في ذلك الحاجز، وكيف فسر العلم الحديث ذلك. وفي ثنايا البحث ذكر الباحث الأحياء التي تعيش داخل هذه البحار، وكذلك استخراج اللؤلؤ والمرجان من أعماق تلك المحيطات الواسعة، ورؤية السفن الكبيرة التي تشق عباب الماء وبصورة هائلة جيئة وذهاباً، وكل ذلك بقدرة الله تعالى. وأما منهج الدراسة وطبيعتها فتمثل في المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بجمع الآيات موضوع البحث وشرحها وتفسيرها حسبما يسر الله

تعالى من المصادر القديمة والحديثة، وهذا المنهج هو ما يسلكه الباحثون في مثل هذه البحوث. وأهم النتائج لهذا البحث يمكن إجمالها فيما يلي:
أن للبحار أهمية كبيرة متنوعة، ولهذا أخذت مساحةً لا بأس بها من الكتاب الكريم. وأن آيات البحار تشتمل على إعجاز علمي اكتشفه العلم الحديث مؤخراً. وأن النبي ﷺ لم يفسر مثل هذه الآيات، لأن الوقت لم يحن لها بعد. وأن مثل هذه الآيات تدل دلالة واضحة على عظمة الله وقدرته الهائلة.

الكلمات المفتاحية: مجمع البحرين، المجمع الملتقي، البحران العذب والمالح، المرج، البرزخ، الحاجز، الحجر المحجور.

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد: فالكلام في القرآن لا يملّ، والخوض في آياته المباركة لا ينتهي، وما الموضوع الذي يتحدث عنه الباحث إلا غيض من فيضٍ، وقطرة من بحر لا ساحل له، وذلك الموضوع عبارة عن وقفة مع بعض آيات القرآن الكريم، وهي الآيات الواردة فيها كلمة: (البحرين) بالتثنية، ومن خلال ما تقدم يودّ الباحث توضيح الآتي:

1- سبب اختيار الموضوع.

يمكن الكلام عن أسباب اختيار الموضوع في النقاط التالية:

1. خدمة لكتاب الله تعالى، وذلك بتوضيح شيء من آياته الكريمة، ولاسيّما الآيات التي تتحدث عن الجوانب العلمية، كآيات هذا الموضوع.
2. اكتشاف بعض المعاني الجديدة، التي تحتوي عليها آيات القرآن الكريم.
3. فتح الباب أمام الباحثين والكتاب للابتكار والتجديد وفقاً للعلوم الحديثة.

2- مشكلة البحث:

يمكن تحديد مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

1. ما المراد بالبحرين في الآيات الكريمة؟
2. ما الحاجز الذي جعله الله تعالى بين البحرين؟
3. ما البرزخ؟، وهل هو شيء حسي أم معنوي؟
4. ما معني الحجر المحجور المذكور في تلك الآيات؟ تلك الأسئلة هي التي تهتم بها الدراسات العلمية الحديثة، وذلك في مجال الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

3- أهداف البحث:

1. كشف بعض الجوانب العلمية المتعلقة بكتاب الله تعالى.
2. تحفيز الباحثين وحثهم على البحث في آيات القرآن الكريم، حتى يكتشفوا المعاني الجديدة في هذا الكتاب.
3. توضيح أن القرآن الكريم ليس من عند البشر، وإلا لتعارض مع النظريات والبحوث العلمية الحديثة.

4- أهمية الموضوع.

تتضح الأهمية لهذا الموضوع مما يلي:

1. الوقوف على بعض الجوانب العلمية التي تناولتها آيات البحرين.

2. معرفة المراد بالحاجز والحجر المحجور والبرزخ الذي ذكر مع هذه الآيات.
3. معرفة ما بداخل هذه البحار واستخراج اللؤلؤ والمرجان منها.

5- الدراسات السابقة:

من بعض الدراسات السابقة في هذا المجال ما يلي:

1. دراسات تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار للدكتور عبد السلام الجعماطي، دار الكتب العلمية.
2. علوم البحار وطبقات الأرض تأليف الدكتور أحمد عبد الوهاب الشرقاوي، الناشر: أمواج للطباعة والنشر والتوزيع.
3. البحار والمحيطات تأليف: آن لوفر بليديبه، الناشر: المجلة العربية –الرياض.
4. آيات الله في البحار: تأليف: ماهر أحمد صوفي، دار البيان.
5. خصائص المياه في البحار والمحيطات، وهو بحث تكميلي لنيل درجة البكالوريوس، تقدمت به الطالبة / عتاب جبار فضل، بكلية الآداب – جامعة القادسية، وتختلف هذه المؤلفات كل واحد عن الآخر بحسب الموضوع الجوهري، ولكنها تلتقي جميعاً في الكلام عن البحار، وهي مؤلفاتٌ لها وزنها وقيمتها العلمية، وتختلف عن هذا البحث الذي يعتبر أكثر دقة وتركيزاً على آيات البحرين فقط، وهو موضوعٌ موجز بالنسبة لتلك المؤلفات.

6- منهج البحث.

منهج هذا البحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي، فقد جمع الباحث فيه الآيات موضوع البحث، وقام بتحليلها وتوضيحها من خلال كتب التفاسير القديمة والحديثة، وبطريقة موجزة تليق بهذا البحث.

7- خطة البحث.

الخطة التي سار على وفقها هذا البحث كالآتي:

- المقدمة: وفيها ما تقدم بيانه.
- المبحث الأول: مجمع البحرين وهو مكان التقاء موسي بالخضر عليهما السلام.
- المبحث الثاني: البحران: العذب والمالح.
- المبحث الثالث: البحران والحاجز الذي بينهما.
- المبحث الرابع: عدم استواء البحرين: العذب والمالح.
- المبحث الخامس: مَرْجُ البحرين والبرزخ الفاصل بينهما.
- الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

تمهيد.

بعدما تقدم من الإطلالة السريعة – يودّ الباحث الدخول في جوهر الموضوع، والذي هو عبارةٌ عن جولة في البحث والتنقيب عن آيات البحرين، تلك الآيات التي لا يمكن أن يتخطاها العلم الحديث، وذلك لما تحتويه من المعاني العميقة والمرامي البعيدة، والتي سيكشف عنها العلم أكثر في الأجيال القادمة، وكان البدءُ لهذا البحث بالمبحث الأول الذي يعقب هذا التمهيد، والله الموفق.

المبحث الأول: مجمع البحرين وهو مكان التقاء موسى بالخضر - عليهما السلام.

تحت هذا العنوان تتحدث الآيات الكريمة عن لقاء سيدنا موسي بالخضر عليهما الصلاة والسلام، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (*) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (*) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (*) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (*) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (*) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (*) [1].

قال الإمام الرازي ما ملخصه: اعلم أن هذا ابتداء قصة ثالثة ذكرها الله – تعالى – في هذه السورة، وهي أن موسى – عليه السلام – ذهب إلى الخضر ليتعلم منه، وهذا وإن كان كلاماً مستقلاً في نفسه إلا أنه يُعين على ما هو المقصود في القصتين السابقتين، أما نفع هذه القصة في الرد على الكفار الذين افتخروا على فقراء المسلمين فهو أن موسى مع كثرة علمه وعمله ذهب إلى الخضر لطلب العلم وتواضع له.

وأما نفع هذه القصة في قصة أصحاب الكهف فهو أن اليهود قالوا لكفار مكة: " إن أخبركم محمد – ﷺ– عن هذه القصة فهو نبي وإلا فلا؛ وهذا ليس بشيء، لأنه لا يلزم من كونه نبياً أن يكون عالماً بجميع القصص، كما أن كون موسى نبياً لم يمنعه من الذهاب ليتعلم من الخضر" [2].

وموسى – عليه السلام – هو ابن عمران، وهو أحد أولى العزم من الرسل، وينتهي نسبه إلى يعقوب – عليه السلام- وفتاه: هو يوشع بن نون، وسمى بذلك لأنه كان ملازماً لموسى – عليه السلام – ويأخذ عنه العلم وقوله: (لا أبرح) أي: لا أزال سائراً من برح الناقص، واسمها مستتر وجوباً، وخبرها محذوف، تقديره: لا أبرح سائراً، وقوله: (حتى أبلغ) غاية لهذا المقدر، ويحتمل أنها تامة فلا تستدعي خبراً، بمعنى: لا أزول عما أنا عليه من السير والطلب ولا أفارقه حتى أبلغ ذلك المكان. (ومجمع البحرين): المكان الذي فيه يتلقى البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط.

وقال الآلوسي: والمجمع: الملتقي، وهو اسم مكان، والبحران: بحر فارس والروم، وملتقاهما: مما يلي المشرق، ولعل المراد مكان يقرب فيه التقاؤهما، وقيل: البحران: بحر الأردن وبحر القلزم، وإلاّ فهما لا يلتقيان إلا في البحر المحيط، وهما شعبة منه [3].

وقال بعض العلماء: والأرجح– والله أعلم – أن مجمع البحرين: بحر الروم وبحر القلزم. أي: البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، ومجمعهما مكان التقائهما في منطقة البحيرات المرة وبحيرة التمساح، أو أنه مجمع خليجي العقبة والسويس في البحر الأحمر، فهذه المنطقة كانت مسرح تاريخ بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر، وعلى أية حال فقد تركها القرآن مجملة فنكتفي بهذه الإشارة [4].

والمعنى: واذكر – أيها الرسول الكريم – لقومك لكي يعتبروا ويتعظوا وقت أن قال أخوك موسى – عليه السلام – لفتاه يوشع بن نون: اصحبني في رحلتي هذه، فإني لا أزال سائراً حتى أصل إلى مكان التقاء البحرين، فأجد بغيتي ومقصدي، " أو أمضى" في سيرى "حقباً" أي: زمناً طويلاً إن لم أجد ما أبتغيه هناك، والحقب قيل: مدته ثمانون عاماً. وقيل سبعون. وقيل: زمان من الدهر مبهم غير محدد.

---

(1)- سورة الكهف الآيات 60-65.

(2)- انظر: الرازي: التفسير الكبير، ج21 ص 113. وانظر ابن العربي، أحكام القرآن، 3 / 205 وما بعدها.

(3)- انظر: الآلوسي: روح المعاني / 15 / 312.

(4)- انظر: محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط، 8/ 547.

والآية الكريمة تدل بأسلوبها البليغ على أن موسى – عليه السلام – كان مصمماً على بلوغ مجمع البحرين مهما تكن المشقة في سبيل ذلك، ومهما يكن الزمن الذي يقطعه في سبيل الوصول إلى غايته، وهذا التصميم حكاه عنه القرآن بقوله: " أو أمضى حقباً" [5].

وقد أشار الآلوسي– رحمه الله – إلى سبب تصميم موسى على هذه الرحلة، فقال: وكان منشأ عزيمة موسى – عليه السلام – على ما ذكر ما رواه الشيخان وغيرهما من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب، أنه سمع رسول الله- ﷺ- يقول: " إن موسى – عليه السلام – قام خطيباً في بنى إسرائيل، فسئل: أيّ الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعاتبه الله – تعالى – عليه، إذ لم يردّ العلم إليه – سبحانه – فأوحى الله – تعالى – إليه: إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك. وفي رواية أخرى عنه عن أُبيّ– أيضاً – عن رسول الله – ﷺ - أن موسى – عليه السلام – سأل ربه فقال: أيْ رب إن كان في عبادك أحد هو أعلم منى فدلني عليه، فقال له: " نعم في عبادي من هو أعلم منك، ثم نعت له مكانه وأذن له في لقائه " [6].

ثم تقصّ علينا السورة الكريمة ما حدث بعد ذلك فتقول: (فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا) والمعنى: وبعد أن قال موسى لفتاه ما قال، أخذا في السير إلى مجمع البحرين، فلما بلغا هذا المكان " نَسِيَا حُوتَهُمَا " أي: نسياً خبز حوتهما ونسيا تفقد أمره، فحيي الحوت، وسقط في البحر، "فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ " أي طريقه "فِي الْبَحْرِ سَرَبًا"، أي: واتخذ الحوت طريقه في البحر، فكان هذا الطريق مثل السرب أي النفق في الأرض، بحيث يسير الحوت فيه وأثره واضح [7].

قال الإمام ابن كثير: قوله: (فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا)، وذلك أنه كان قد أُمر بحمل حوت مملوح – أي مشوي– معه، وقيل له متي فقدت الحوت فهو ثمة – أي الرجل الصالح الذي هو أعلم منك يا موسى في هذا المكان، فسارا حتى بلغا مجمع البحرين، وهناك عين يُقال لها عين الحياة، فناما هناك، وأصاب الحوت من رشاش ذلك الماء فاضطرب، وكان في مكتل مع يوشع، وطفر من المكتل إلى البحر، فاستيقظ يوشع وسقط الحوت في البحر، وجعل يسير فيه، والماء له مثل الطاق–أي مثل البناء المقوس كالقنطرة– لا يلتئم بعده، ولهذا قال: " فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا" أي: مثل السرب في الأرض [8].

وقال الإمام البيضاوي: قوله: "نَسِيَا حُوتَهُمَا " أي: نسى موسى أن يطلبه ويتعرف حاله، ونسى يوشع أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر [9].

ثم بيّن – سبحانه ما كان منهما بعد ذلك فقال: (فَلَمَّا جَاوَزَا) أي: المكان الذي فيه مجمع البحرين. قال موسى – عليه السلام- لفتاة يوشع بن نون " آتِنَا غَدَاءَنَا "أي: أحضر لنا ما نأكله من هذا الحوت المشوي الذي معنا، ثم علل موسى – عليه السلام – هذا الطلب بقوله: (لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا) الإشارة هنا إلى سفرهما المتلبسان به، قالوا: ولكن باعتبار بعض أجزائه، فقد صح أنه- ﷺ - قال: لم يجد موسى شيئاً من التعب حتى جاوز المكان الذي أُمر به [10].

---

(5)- انظر التفسير الوسيط، المرجع السابق: 8/ 547/ 548.

(6)- انظر: الآلوسي: تفسير روح المعاني، ج 15 / 313.

(7)- انظر: محمد سيد طنطاوي التفسير الوسيط: 8 / 548.

(8)- انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3 / 92.

(9)- انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 2/ 2.

(10)- انظر: المرجع السابق، نفسه ونفس الجزء والصفحة.

وقوله سبحانه: " قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ " حكاية لما رد به يوشع على موسي عليه السلام عندما طلب منه الغداء، والاستفهام في قوله: " أرأيت" للتعجب مما حدث أمامه من شأن ذلك الحوت حيث عادت إليه الحياة، وقفز في البحر، ومع ذلك نسى يوشع أن يخبر موسي عن هذا الأمر العجيب [11].

وقوله تعالى: (وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ) أي: وما أنساني تذكيرك بما حدث من الحوت إلا الشيطان الذي يوسوس للإنسان بوساوس متعددة، تجعله يذهل وينسى بعض الأمور الهامة. وقوله: (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) أي: نسيت أن أخبرك بأن الحوت عندما أوينا إلى الصخرة عادت إليه الحياة، واتخذ طريقه في البحر اتخاذاً عجباً، حيث صار يسير فيه وله أثر ظاهر في الماء، والماء من حوله كالقنطرة التي تنفذ منها الأشياء.

وهنا يحكي القرآن ما يدل على أن موسى- عليه السلام – قد أدرك أنه تجاوز المكان الذي حدده له ربه – تعالى للقاء العبد الصالح فقال: (قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا) أي: فرجعا من طريقهما الذي أتيا منه، يتتبعان آثارهما لئلا يضلا عنه، حتى انتهيا عائدين مرة أخري إلى موضع الصخرة التي فقد الحوت عندها[12].

ثم حكى القرآن ما تم لهما بعد أن عادا إلى مكانهما الأول فقال: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) أي: وبعد ان عادا إلى مكان الصخرة عند مجمع البحرين مرة أخري وجدا عبداً من عبادنا الصالحين، والتنكير في (عَبْدًا) للتفخيم، والإضافة في (عِبَادِنَا) للتشريف والتكريم، (آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا) لا من عند غيرنا (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) أي: من عندنا لا من عند غيرنا، والمراد بهذا العبد الخضر عليه السلام كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، ومن العلماء من يرى أنه كان نبياً، ومنهم من يرى أنه كان عبداً صالحاً، اختصه الله بنوع معين من العلم اللدني. [13]

وأخرج البخاري وغيره عن أبي هريرة عن النبي – ﷺ – قال: (إنما سمّى الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتّز من خلفه خضراء)[14]. ويرى المحققون من العلماء أنه مات كما يموت سائر الناس، وإلى ذلك ذهب الإمام البخاري وابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما، ويرى آخرون أنه حي وسيموت في آخر الزمان، وقال ابن القيم: إن الأحاديث التي يُذكر فيها أنه حيّ كلها كذب، ولا يصح في ذلك حديث واحد، وهذه المسألة من المسائل التي فصّل العلماء الحديث عنها، وأكثروا من الكلام فيها [15].

وقال الحافظ السيوطي في ذلك: [16]

ما أشـــهر القولين يامن علـــمه	**	أربي على الأقران والنظـــراء
في موت مشهور الحياة أي الخـضر	**	وحـــــياته يا فـــائزاً بثناء
قولان مشـــــهوران قالهما الرضـــا	**	شـــيخ الزمان وفائق العلماء
بقـــــوام دين الله لقّب وهـــو من	**	بغـــداد يُشهر بين كل ملاء
وأقـــــام برهـــاناً على فقدانه	**	فاعجـــب لذا يا كامل الآراء
لا زلت معـــــدوداً لكـــل ملمة	**	وجُزيت يوم الحشر خير جزاء

وأجاب قائلاً:

---

(11)- انظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، 8 / 549.

(12)- انظر: المرجع نفسه: 551/8، وانظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم، م 3 / 92/ 93م.

(13)-انظر: محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط 8/ 551، والطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 9 /276.

(14)- انظر: الآلوسي: روح المعاني، 15 / 319.

(15)-أنظر: التفسير الوسيط، 8/ 551 / 552، وانظر الشنقيطي، أضواء البيان، 4 / 145.

(16)- أنظر: جلال الدين السيوطي، الحاوي للفتاوي 2 / 131.

من بعد حـــــمدي دائماً وثنائي ** ثم الصـــــلاة لسيد النجباء
للناس خُلف شـــاع في خضر وهـل ** أودي قـــــديماً أو حي ببقاء
ولكّلِ قولٍ حجـــة مشـــــــهورة ** تسمو على الجـوزاء في العلياء
خَضِـــــرٌ وإلياسٌ بأرضٍ مثلـــــما ** عيـسى وإدريسُ بقـوا بسـماء
هذا جواب ابن الســـــيوطيّ الذي ** يرجـــو من الرحمن خير جزاء

وفي حاشية الصاوي على الجلالين: والجمهور أنه حي إلى يوم القيامة، لشربه من ماء الحياة [17].

وقال ابن كثير في تفسيره: وذهب كثيرون إلى أنه لم يكن نبياً بل ولياً، فالله أعلم -ثم قال بعد كلام قدمه: ثم حكى هو (أي الإمام النووي) وغيره في كونه باقياً إلى الآن ثم إلى يوم القيامة قولين، ومال هو (يعني النووي) وابن الصلاح إلى بقائه، وذكروا في ذلك حكايات وآثار عن السلف وغيرهم، وجاء ذكره في بعض الأحاديث ولا يصح شيء من ذلك، وأشهرها حديث التعزية واسناده ضعيف، ورجح آخرون من المحدثين خلاف ذلك. . . إلخ. هكذا قال ابن كثير وهو يرجح موته على بقائه [18].

ومما هو جدير بالملاحظة: أن كلمة (الخضر) جاءت في تفسير ابن كثير أكثر من أربعين مرة في هذه القصة التي تحدثت عنها الآيات السابقة.

والذي يطلع على التفاسير المشهورة وغيرها يقف على هذين القولين المشهورين اللذين ذكرهما الإمام السيوطي فيما تقدم.

والخلاف قائم أيضاً في أنه هل هو رسول أم نبي أم ولي؟ وفي أسهل المسالك[19]:

والخُلف في الخضر شهير منجلي ** أمرسل أم لا وقيل بل ولي

وفي أضواء البيان للشنقيطي[20]:

واختلفت في خضر أهلُ العقول ** فقيل نبيّ أو وليّ أو رسوْل.

فقيل إنه رسول، وقيل إنه نبي، وقيل إنه ولي، وقد تقدم كلام الآلوسي آنف الذكر في هذه المسألة.

المبحث الثاني: البحران: العذب والمالح والحاجز بينهما.

المطلب الأول: البحران العذب والمالح.

من حكمة الله تعالى – أنه خلق هذين البحرين مختلفين في كثير من الصفات والخصائص، فهذا عذب فراتٌ سائغ شرابه، وهذا ملحٌ أجاج، وفي ذلك يقول تعالى: (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا)[21]، آية جليلة من سورة الفرقان، يتحدث الله فيها عن مسألة تعتبر من مسائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وقد ذكر الله تعالى هذه القضية منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، ولكنها لم تكتشف إلا في هذه العصور المتأخرة، وذلك بفضل الثورة العلمية الهائلة، والبحوث التجريبية المتقنة، والتقدم العلمي الكبير في شتى مجالات العلوم، وكان العلماء السابقون رحمهم الله يعرفون الإعجاز في القرآن الكريم، ولكن من

(17)- أنظر: حاشية الصاوي على الجلالين، 3 / 19.
(18)- انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3 / 99 / 100.
(19)- انظر: محمد البشار، نظم أسهل المسالك بشرح الجعلي، 1 / 15.
(20)- انظر: الشنقيطي، أضواء البيان 4 / 140.
(21)- الفرقان: 53.

الناحية البلاغية والتاريخية ونحوها، وكذلك كشف المستقبل بطريقة صادقة، أما الاعجاز العلمي فلم يُعرف إلا مؤخراً، ولهذا فالمفسرون القدامى رحمهم الله فسروا مثل هذه الآية حسب ما كان متاحاً لهم من الأدلة والاستنباط الصحيح، وقد بذلوا في ذلك قصاري جهدهم، ولم يألوا جهداً في هذا المجال، ولو أدركوا هذا العصر لبالغوا، ولتفننوا ولأبدعوا، ولأتوا بالعجب العجاب، ولما تركوا شاردة أو واردة تتعلق بالجوانب العلمية إلا طرقوا أبوابها وقتلوها بحثاً، ومع ذلك فقد ظهرت تفاسير في هذه الفترة الأخيرة تتحدث عن هذا المجال، ولكنها قليلة بالنسبة للتفاسير القديمة، وإذا ما تُرك هذا جانباً ونُظر في التفاسير المشهورة فستجد أنها تفسر الجانب العلمي المتعلق بهذه الآية على حسب الوسائل والآلات التي كانت متاحة في زمانهم كما تقدم، فهاهو الحافظ ابن كثير: يقول وقوله تعالى (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا)، أي خلق الله المائين الحلو والملح، فالحلو كالأنهار والعيون والآبار، وهذا هو البحر الحلو العذب الفرات الزلال، قاله ابن جرير واختاره، وهذا معني لا شك فيه، فإنه ليس في الوجود بحر ساكنٌ وهو عذب فرات، والله سبحانه وتعالي إنما أخبر بالواقع لينبه العباد على نعمه عليهم ليشكروه، فالبحر العذب هو هذا السارح بين الناس، فرّقه الله تعالي بين خلقه لاحتياجهم إليه أنهاراً وعيوناً في كل أرض، بحسب حاجتهم وكفايتهم لأنفسهم وأراضيهم، وقوله تعالي: (وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) أي مالح مرّ زعاق لا يُستطاع، وذلك كالبحار المعروفة في المشارق والمغارب، وهذه البحار لا تجري ولكن تموج وتضطرب وتلتطم في زمن الشتاء وشدة الرياح، وإنما جعلها الله مالحة لئلا ينتن الهواء فيفسد الوجود بذلك، ولئلا يختل الجوّ بما يموت في هذه البحار الساكنة من الحيوانات، ولما كان ماؤها ملحاً كان هواؤها صحيحاً وميتتها طيبة، ولهذا قال رسول الله- ﷺ- وقد سئل عن ماء البحر: أنتوضأ به؟ فقال: (هو الطّهور ماؤه الحلّ ميتتُه) رواه الأئمة: مالك والشافعي وأحمد وأهل السنن بإسناد جيد، وقوله تعالي: (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا) أي بين العذب والمالح (بَرْزَخًا) أي حاجزاً وهو اليبس من الأرض، (وَحِجْرًا مَحْجُورًا) أي: مانعاً من أن يصل أحدهما إلى الآخر [22].

ويقول الإمام القرطبي في تفسيره: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) أي: أجراهما (هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ)، أي: حلو شديد العذوبة، (وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) أي: فيه ملوحة ومرارة، (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا

بَرْزَخًا) أي: حاجزاً من قدرته لا يغلب أحدهما على صاحبه كما في سورة الرحمن: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ*بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) [23]، (وَحِجْرًا مَحْجُورًا) أي: ستراً مستوراً يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر، فالبرزخ الحاجز، والحجر المانع [24]

وسمى الماء العذب فراتاً لأنه يفرت العطش أي يشقه ويقطعه، والملح الأجاج هو شديد الملوحة، وقيل شديد الحرارة، وقيل شديد المرارة، وقد جعل الله بين هذين البحرين حاجزاً لا يختلط أحدهما بالآخر، فالماء العذب داخل في الملح وجارٍ في خلاله، ومع ذلك لا يتغير طعمه ولا يختلطان، بل يبقي كل على ما هو عليه بسبب منع الله لكل منهما بحاجز معنوي لا يُحسّ، بل بمحض قدرته تعالي، وهذا من أكبر الأدلة على انفراد الله تعالي بالألوهية [25].

فالمرج هو: التخلية والإرسال والاختلاط، فالمعني أن الله تعالي خلّى بينهما وأرسلهما وخلط بينهما، ولكن بطريقة لا يمتزجان ولا يتغير أحدهما بالآخر، وذلك لأن الله تعالى جعل بينهما حاجزاً معنوياً يمنع هذا من هذا، فلا ينبغي لأحدهما أن يؤثّر في الآخر أبداً، وهذا مظهر من مظاهر قدرة الله تعالي، ويدرك القارئ من خلال تفسير هذه

(22)- انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 3 / 321 / 322.

(23)- الرحمن: 19 – 20.

(24)- انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 7/ 56.

(25)-انظر: حاشية الصاوي على الجلالين 3 / 152.

الآية– أن الماء العذب الفرات هو الذي ينفع للشرب ويقطع العطش، وأن الماء المالح لا يصلح لذلك وإنما يزيد العطش [26].

ثم إن البحرين المذكورين في الآية من المفسرين من عيّنهما كالإمام القرطبي، الذي قال بأنهما بحر فارس والروم، وقيل بحر السماء وبحر الأرض، يلتقيان كل عام [27]. وكما ترى فإن هذين القولين بعيدان كل البعد عن الحقيقة والواقع، حيث إن البحرين في الآية ليسا مقصورين على بحرين بعينهما وإنما ذُكر ذلك كقاعدة عامة في كل بحر، كما أنه لا يوجد بحر في السماء كما كان يعتقدون [28].

وقيل المراد من البحر العذب: الأنهار العظام كالنيل والفرات وجيحون، ومن البحر الأجاج: البحار المشهورة [29].

هذه هي أقوال المفسرين- رحمهم الله- كما ترى، فقد فسروا تلك الآية حسبما ظهر لهم من معناها، وهو تفسير صحيح وسليم لا شيء فيه، ولكن ماذا عن العلم الحديث؟ لقد أثبت العلم الحديث أن هنالك فعلاً حاجزاً بين المياه العذبة والمياه المالحة عند مصبّ الأنهار، وأن هذا البرزخ هو الفاصل بين المائيين، ولهذا لا يختلط أحدهما بالآخر، وقد اكتُشف ذلك بواسطة الأجهزة الحديثة، وأما السر في قوله تعالى: (وَحِجْرًا مَحْجُورًا) فمعناه أن هنالك حاجزاً قوياً مانعاً، بحيث يمنع الأسماك التي تعيش في العذب أن تدخل في الماء المالح وبالعكس، وذلك لأن طبيعة كل منهما تختلف عن الأخرى، فلولا ذلك الحاجز لماتت الأسماك التي في العذب عند دخولها في الماء المالح وبالعكس [30].

وعلى ما تقدم – فالحاجز الأول يمنع اختلاط المائيين مع بعضهما البعض، والحاجز الآخر يمنع اختلاط الأحياء التي تعيش في العذب من أن تدخل في الماء المالح وبالعكس.

وفي مثل هذه الآية يتوسّع العلم الحديث، ليؤكد الحقائق العلمية التي أخبر بها القرآن الكريم منذ مئات السنين، ولم يتم اكتشافها والتعرف عليها إلا في الآونة الأخيرة، وذلك بما أفاض الله على البشرية من العلوم والمعارف، ليكتشفوا بها الأسرار الكونية، وإذا انقطع الرسل والمعجزات التي كانت حجة على البشر – فقد ترك الله بين أيدي هذا الجيل كل الإمكانيات، ليرى قدرة الله بنفسه في كونه وأرضه وبحره، وكأن هذا الزمن ليس بحاجة إلى أنبياء حتى يأتوا لهم بالمعجزات للدلالة على وجود الله تعالى، أليس لديهم علم الكون كله، وأليس عندهم الإمكانيات التي يكتشفون بها غوامضه وأسراره؟ وكل ذلك يدل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى أن هذا القرآن كلام الله تعالى.

المطلب الثاني: البحران والحاجز بينهما.

جعل حاجزٍ بين البحرين ليس عبثاً، وإنما لسر رباني بعيد الغور، وهذا لا يستطيع فعله غير الخالق القدير، قال تعالى: (أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)[31].

(26)-انظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، 10 / 209، وانظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير 2 / 355. .

(27)- انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 7 / 56.

(28)- انظر: عبد الله عبد الرحيم العبادي، كتاب (العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه؟)، ص 58.

(29)- انظر: الآلوسي، روح المعاني، 19 / 34.

(30)- انظر: عبد الله عبد الرحيم العبادي، كتاب (العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه؟)، ص 61/60.

(31)- النمل: 61.

تتوالى الآيات الكريمة المباركة لتلقي على العقول النيرة كماً هائلاً من الأدلة الكونية، تلك الأدلة المشاهدة، والتي بثها الله في هذا الكون الواسع، حتى تتوصل العقول والألباب إلى مدى تأثير القدرة الإلهية العظيمة، والآية التي يدور الحديث عنها تناولت أربعة من تلك الآيات الكونية وهي بالترتيب:

1- جعل الأرض للاستقرار، حتى يمكن العيش على ظهرها.
2- تفجير الأنهار الكثيرة، وذلك لشرب الأحياء والنباتات.
3- خلق الجبال الثوابت، لتثبيت هذه الأرض، ومنعها من الاضطراب.

ولا يستطيع العالم كله أن يفعل شيئاً من ذلك، وهذا دليل على انفراده سبحانه وتعالى بالألوهية والقدرة والسلطان.

والذي يريد الباحث الحديث عنه هو الآية الكونية الأخيرة، وهو جعل حاجز بين البحرين: العذب والمالح.

يقول الإمام القرطبي: (وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) مانعاً من قدرته، لئلا يختلط الأجاج بالعذب، قال ابن عباس: سلطاناً من قدرته، فلا هذا يغير هذا ولا هذا يغير هذا، والحجز: المنع، (أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ) أي: إذا ثبت أنه لا يقدر على هذا غيره فلم يعبدون ما لا يضر ولا ينفع؟ (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) يعني: كأنهم يجهلون الله فلا يعلمون ما لا يجب له من الوحدانية [32].

ويقول الحافظ ابن كثير (وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) أي جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزاً، أي مانعاً يمنعهما من الاختلاط لئلا يفسد وهذا بهذا وهذا بهذا، فإن الحكمة الإلهية تقتضي بقاء كلٍ منهما على صفته المقصودة منه، فإن البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس، والمقصود منها أن تكون عذبة زلالاً يسقي الحيوان والنبات والثمار منها، والبحار المالحة هي المحيطة بالأرجاء والاقطار من كل جانب، والمقصود منها أن يكون ماؤها ملحاً أُجاجاً لئلا يفسد الهواء بريحها. . إلخ (33)

ويقول العلامة الآلوسي: (وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا)أي العذب والمالح عن الضحاك، أو بحري فارس والروم عن الحسن، أو بحري العراق والشام عن السدي، أو بحري السماء والأرض عن مجاهد، (حَاجِزًا) فاصلاً يمنع من الممازجة [34].

وبإلقاء نظرة سريعة في الأقوال المتقدمة يتضح أن الإمام القرطبي والحافظ ابن كثير لم يعيّنا البحرين المذكورين في الآية بأكثر من أنهما الماء العذب والماء المالح، بخلاف العلامة الآلوسي الذي ذكر فيهما أربعة أقوال، وقد اتفق معهما في القول الأول، وبقية التفاسير تسير على هذا المنوال، وليس هنالك خلاف بينها في المعني[35].

والجدير بالملاحظة أن الله تعالى فصل بين البحرين في سورة الفرقان[36] والرحمن[37]بالبرزخ، وزيادة الحجر المحجور في سورة الفرقان، وقد جاء الأسلوب في الآية موضوع البحث بـ(الحاجز)، والألفاظ الثلاثة معناها لا يختلف فيما يبدو، والعلم عند الله تعالى.

ما تقدمت هي أقوال المفسرين، ولكن بقي شيءٌ يقوله العلم الحديث، ففي البدء إن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المعجز، الذي لا يستطيع أحدٌ مهما كان أن يجاريه أو يقترب من مكانه الرفيع وحرمه المحمي، والله سبحانه

---

(32)- انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 7 / 199، ومحمد محمود حجازي، التفسير الواضح ج20 / 7.

(33)- انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/ 370.

(34)- انظر: الآلوسي، روح المعاني، 6/20.

(35)- انظر: البغوي، معالم التنزيل 183/4، وأبي السعود، إرشاد العقل السليم، 5 / 101، وغيرهما.

(36)-الآية: 53.

(37)-الآية: 19 / 20.

وتعالى عندما تحدث عن الجوانب المتعلقة بالنوحي الكونية يعلم بعلمه أن هذه الأشياء لن تكشف للبشرية إلا عبر أعوام كثيرة وقرون طويلة، وكل جيل يكتشف جديداً من آيات هذا الكتاب العجيب، وسيبقي ذلك حتى نهاية هذه الكرة الأرضية، ولهذا فقد اندهش العلماء عند اكتشافهم لبعض الحقائق العلمية التي لم تخطر بالبال، ومع ذلك فقد تحدث عنها القرآن الكريم منذ زمن بعيد، وبطريقة صادقة، وهي كثيرة جداً، ومنها (الحاجز) وهو المانع من اختلاط البحر العذب بالبحر المالح، والآية التي يتحدث عنها الباحث هي إحدى آيات الله المعجزة، وهي إشارة علمية ثابتة ومؤكدة، ولهذا لم يتوسع القرآن في بيانها وإيضاحها، وقد اكتفى بالإشارة إلى ذلك، وترك أمر اكتشافها وبيانها لأجيال قادمة، وهذا ما بدأ في هذه القرون المتأخرة كما تقدم، وكان علماؤنا المفسرون قد حيرتهم كلمة (البرزخ) وهو الحاجز بين البحرين، وهم لقوة إيمانهم كانوا متأكدين من وجود ذلك الحاجز، ولكن الكيفية التي هو عليها لم يتوصلوا إليها رغم محاولاتهم واجتهادهم بما لديهم من إمكانيات في ذلك الوقت، فكانوا يسألون البحّارة والتجار الذين يجوبون البلاد، ويقولون لهم: هل وجدتم في مكان التقاء أيّ بحرين حاجزاً؟ فيكون الجواب: (لا)، فيعودون إلى أنفسهم ويقولون: يا ربما هذا الحاجز؟ أهو من الصخور أم من الحديد أم من الفولاذ أم حاجز من قدرتك لا ندرك كنهه وحقيقته؟ وذهب بعضهم إلى نقطة الالتقاء بين البحار ولكنهم لم يجدوا ما يشير إلى ذلك، واستمر الأمر ردحاً من الزمان إلى أن جاءت الدراسات البحرية، وأقامت مناطق للتجارب، فكانت هناك الغواصات البحرية والتصوير السينمائي الدقيق، وحينها تم اكتشاف حاجزٍ بين كل بحرين له خصائص معينة وصفات محددة، وكل ذلك بقدرة الله الذي هيّأ لهم الآلات الراقية والسفن الفضائية، لكشف السر الحقيقي لمثل هذه الآية [38].

والكلام ذو شجون في هذه الآية، وما تقدم يكفي في هذه العجالة.

المبحث الثالث: عدم استواء البحرين: العذب والملح والبرزخ الحاجز بينهما.

المطلب الأول: عدم استواء البحرين: العذب والمالح.

هذه الآية قريبة الشبه بالآية المتقدمة في المبحث الثالث، ويلاحظ هنا عدم ذكر الحاجز الذي تقدم هناك، وفي ذلك يقول تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [39]. آية كريمةٌ تتحدث هي –أيضاً عن البحرين: العذب الفرات والملح الأجاج، وهى من الآيات الكونية، التي يمتن الله بها على عباده، إذ يذكرهم سبحانه وتعالى بهذين البحرين وما فيهما من الفوائد والمنافع، فهو الذي جعل هذا عذباً فراتاً سائغاً شرابه، والآخر ضده تماماً، ولم يكن ذلك عبثاً ولا باطلاً تجلى الله عن ذلك، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ) [40]. وقال تعالى أيضاً: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ)[41]. فالله تعالى لم يخلق شيئاً إلا لمنفعة ومصلحة واضحة، أو لحكمة تخفي على العقول.

وهذه الآية قريبة المعني من آية سورة الفرقان التي تقدمت في المبحث الثاني، إذ جاء التصريح في مياه كل منهما: فالأول عذب فرات سائغ شرابه، والثاني ملحٌ أجاج، وتزيد آية الفرقان بـ (البرزخ والحجر المحجور)، وزادت هذه الآية: "اللحم الطريّ والحلية ورؤية السفن وهي تمخر في الماء".

---

(38)-انظر: ماهر أحمد صوفي كتاب (آيات الله في البحار) ص: 39 – 41.

(39)- فاطر: الآيـة (12).

(40)- الأنبياء: الآية (16).

(41)- ص: الآيـة (27).

ويقول الإمام القرطبي: في هذه الآية: بأن الفرات هو الحلو والأجاج هو المر، فالأول ماء عذب والثاني ملحٌ أجاج، ومن كلا البحرين يكون اللحم الطريّ، أما الحلية ففيها خلاف، فيقل انها تستخرج منهما، وقيل من البحر المالح، أما عن السفن فقد قال تعالى (وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ)أي: في ماء الملح خاصة، ولولا ذلك لقال فيهما، وفي قوله تعالى: (لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) يعنى بالتجارة للبلدان البعيدة في مدة قريبة، ولعلكم تشكرون الله على ما أتاكم من فضله، وقيل على ما أنجاكم من هوله [42]

ويقول الإمام الرازي في ذلك: (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) فيه إشارة إلى أن عدم استوائهما دليل على كمال قدرته وإرادته، ثم فرّق بين المالح والملح، فالمالح هو ماء عذب صُبّ فيه ملحٌ، فالملوحة طارئة عليه، وأما الماء الملح فهو ملح من أصل خلقته، ولهذا يُقال لماء البحر ملح لا مالح، وقوله: (وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا) من الطير والسمك، وقوله: (وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً) أي: من اللؤلؤ والمرجان، وقوله: (وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ) أي: ماخرات تمخر البحر بالجريان، أي: تشق، وقوله: (لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) يدل على ما ذكرناه من أن المراد من الآية الاستدلال بالبحرين ومافيهما على وجود الله وحدانيته وكمال قدرته [43]، فالفرق بين هذين البحرين واضحٌ من حيث المذاق، وأما التشابه بينهما ففي اللحم الطريّ الذي يكون فيهما، وفي الحلية التي توجد منهما وفي الفلك التي تجري فيهما[44].

ويفسر العلامة أبو السعود هذه الآية بمثل ما تقدم، ولكنه يخص استخراج الحلية بالبحر المالح خاصةً، وفي قوله: (وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ) أي في هذا وفي هذا، فالضمير راجع للبحرين معاً وليس للمالح وحده [45].

ثم إن اللحم الطريّ المنصوص عليه في الآية لا يخص السمك وحده، فحيوانات البحر كلها حلالٌ يجوز أكلها [46]، ولو كانت ميته، وفي نظم أسهل المسالك [47]:

وميتهُ البحر وما لا دمّ له *** لا وزغٌ وشُحمة وسحليه

وفي خلاصة الأدلة [48]:

وسألوه عـن مياه البحر *** ومن جوابه بشأن الطّهر

هو الطّهور ماؤُه والحلُّ *** ميتته كـــذا رواه الجلَّ

وإرادة التنوع في خلق الماء واضحة، وذلك فيه قصد وتدبير، وذلك لخلق تناسق وتوازن في هذا الكون، ولا يضع ذلك إلا الله خالق هذا الكون وما فيه، وهذا التنسيق الدقيق لا يأتي مصادفةً وإنما من عليم خبير، إنه تسخير إلهي لهذا الإنسان، الذي جعله الله خليفة في هذه الأرض، فمياه البحار، واللحم الطريّ، واللؤلؤ والمرجان، والسفن التي تُرى في البحار كالجبال الكبيرة، كلها من نعم الله تعالى الذي أبدع هذا الكون [49].

وفي التفسير الوسيط ما ملخصه: ومن كل واحدٍ منهما تأكلون لحماً طرياً، أي غضّاً شهيّاً مفيداً لأجسادكم، وفي وصفه بالطراوة تنبيه إلى أنه ينبغي المسارعة إلى أكله، لأنه يسرع إليه الفساد والتغيير، وقد أثبت الطبّ أن تناوله

---

(42)- انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 7 / 114.

(43)-انظر: الرازي، التفسير الكبير، 13/ 10/ 11، والشنقيطي، أضواء البيان: 495/6.

(44)- انظر: المرجع السابق نفسه، ونفس الجزء والصفحة.

(45)- انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 5 / 289 / 290.

(46)-انظر: حاشية الصاوي على الجلالين: 3 / 289.

(47)-انظر: محمد البشار، نظم اسهل المسالك بشرح الجعلى: 1/ 58.

(48)-انظر: محمد المختار ولد أباه، خلاصة الأدلة من التجريد واختصار التمهيد، ص: 83.

(49)-انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن: 2934/5.

بعد ذهاب طراوته من أضر المأكولات– فسبحان الخبير بشؤون خلقه، وفيه أيضاً –إيماء إلى كمال قدرته تعالى، حيث أوجد هذا اللحم الطريّ النافع في الملح الأجاج الذي لا يُشرب، ونعمة أخري وهي الحلى الذي تلبسه النساء وتتحلي به، ومنها السفن التي فيها منافع كثيرة للناس [50]. ومن خلال هذا العرض السريع – يتضح للقارئ بأن في هذه الآية المباركة أربع من النعم الربانية، وهذه النعم هي:

1. اختلاف ماء البحرين.
2. اللحم الطّري النافع.
3. الحلية التي تلبسها النساء.
4. الفلك التي تمخر في الماء.

وقد كان اختلاف المفسرين واضحاً في الكلام عن استخراج الحلى، فمنهم من قال بأن الحلى كاللؤلؤ والمرجان يخرجان من البحرين معاً، وذلك عملاً بظاهر الآية [51]، ولعل هذا هو الصحيح الذي يؤيده العلم الحديث [52]، ومنهم من قال بأن الحلي إنما يستخرج من البحر الملح مع احتمال خروجه منهما [53].

وهذه المسألة تجدها في كتب التفسير على هذين القولين، وذلك على حسب الأدلة والنصوص التي تحصّل عليها كل واحد من هؤلاء المفسرين، ولكن البحوث العلمية الحديثة ترفع الخلاف الذي ذكره المفسرون، وتوضح لنا الحقيقة الماثلة، وهي أن الحلية تُستخرج من البحر العذب والبحر الملح لا من الملح وحده.

المطلب الثاني: البرزخ الحاجز بين البحرين.

من دلائل قدرة الله تعالى المرج والالتقاء بين البحار، وجعل مانع قوى يمنع كلٍ منهما من أن يبغي على الآخر ويعتدي عليه، قال تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ *فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)[54].

هذه أيضاً عجيبة أخرى، وآية كبري من دلائل قدرة الله تعالى، فقد أرسل الله مياه هذين البحرين، وجعل مياه هذا تلتقي بهذا، ومرج بينها، ولكن مع ذلك المرج والتلاقي لا يختلط هذا الماء بهذا الماء، ويبقي كل واحدٍ محافظاً على صفاته وخصائصه، وذلك بجعل حاجز من القدرة الإلهية، يمنع ذلك الحاجز أن يختلط هذا البحر بالبحر الآخر.

وفي تفسير الإمام القرطبي: أن مرج بمعنى: خلّى وأرسل وأهمل، وذكر الإمام القرطبي في "البحرين" ستة أقوال، وهو يرى أن البرزخ هو الحاجز الذي يحجز بين البحرين، ويذكر في ذلك أربعة أقوال، ولعل القول الثالث هو الأرجح، وهو أن ذلك الحاجز هو القدرة الإلهية، وتراه أيضاً يذكر في قوله: (لَا يَبْغِيَانِ) ثلاثة أقوال، وأرجحها: أنه لا يبغى أحدهما على صاحبه فيغلبه، وذلك الترجيح واضحٌ من خلال التفاسير المشهورة، وقد تقدم ذلك في المباحث السابقة. أما الحديث عن اللؤلؤ والمرجان – فيذكر فيهما ما تقدم في المبحث السابق، وهو أنهما يُستخرجان من الماء

(50)-انظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، 11 / 335.

(51)-انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 7/ 613، والشنقيطي، أضواء البيان: 6/ 495، ومحمد علي الصابوني، صفوة التفاسير: 2/ 554.

(52)-انظر: كتاب (العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه؟)، مرجع سابق، ص: 63.

(53)-انظر: الآلوسي، روح المعاني، 14 / 180/179/22/8، والجلالين مع حاشية الصاوي: 3/ 290/289.

(54)- سورة الرحمن: من الآية: 19 إلى 23.

الملح، وقيل منهما معاً، ويسوق القرطبي في هذا المقام عدة أقوال، يفهم منها أن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من البحرين: الملح والعذب [55].

ولا يبعد كلام الإمام الرازي عن كلام الإمام القرطبي، فهو يفسر قوله: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) بقوله: أي أرسلهما في بعض، وهما عند الإرسال يلتقيان، أو من شأنهما الاختلاط والالتقاء، ولكن الله منعهما عما في طبعهما، فهما يلتقيان إلى الآن ولا يمتزجان، والبرزخ المانع لهما من الامتزاج هو قدرة الله تعالى، وهذا ما يقوله الحكماء والمحققون، عكس ما يقوله علماء الطبيعة، الذين يقولون بأن ذلك من طبعهما لا بقدرة الله تعالى [56]. والقائل بذلك كافرٌ، ومثله من يقول بالعلة، قال الشيخ الدردير[57]:

والفعل فالتأثيرُ ليس إلاّ *** للواحد القهار جل وعلا

ومن يقل بالطبع أو بالعله *** فذاك كفر عند أهل الملة

فالأشياء لا تأثير لها بطبعها ولا بالعلة، وإنما بقدرة إلهية ربانية. ويستطرد الإمام الرازي عند تفسيره لهذه الآيات ذاكراً اللؤلؤ والمرجان، ويذكر فيهما القولين اللذين تقدما عن المفسرين [58].

واللؤلؤ والمرجان لا شك أنهما من الجواهر النفيسة، ومن الأشياء الثمينة الغالية، ومن أعز ما يُملك، ولهذا امتنّ الله على عباده بهذه النعمة التي تعتبر من آلاء الله تعالى، ومن هباته التي لا ينبغي أن تُقابل بالجحود والتكذيب.

ويقول الشيخ محمد علي الصابوني: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) أرسل البحر الملح والبحر العذب يتجاوران ويلتقيان ولا يمتزجان، (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) أي بينهما حاجزٌ من قدرة الله تعالى، لا يطغي أحدهما على الآخر بالممازجة، (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) أي: فبأيّ نعم الله تكذبان؟ (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) أي: يخرج لكم من الماء اللؤلؤ والمرجان، كما يخرج من التراب الحبّ والعصف والريحان [59].

وقال الآلوسى: واللؤلؤ صغار الدر والمرجان كباره وقيل غير ذلك[60]. هذا ما قاله المفسرون – أما العلم الحديث فيقول بأن المقصود بالبحرين هما: البحران المالحان، فإنه قد ثبت فعلاً أن هناك حاجزاً بين البحار المالحة، وثبت أن لكل بحرٍ خاصيته من الكثافة والحرارة ونحو ذلك، والحاجز المذكور يفصل بين البحرين، بحيث لا يتجاوز أحدهما الآخر، وقد وجد ذلك عند مُلتقى البحار، وقد كُشف هذا قبل عشرين عاماً، ولكن لا يُرى ذلك الحاجز بالعين المجردة، وإنما بالآلات الحديثة المكبّرة، وقد صُور ذلك عن طريق سُفن الفضاء، وذلك بأشعة فوق الحمراء، وبطريقة بالغة الدقة مما تجعل ذلك الحاجز واضحاً، وقد ثبتت هذه الحقيقة في البحار المالحة فقط، كذلك اللؤلؤ والمرجان لا يشاهدان إلا في تلك البحار، والمرجان حيوان بحري لا يعيش في الأنهار البتّة، ومما ينبغي التنبيه إليه أن ذلك الحاجز يكون عند ملتقى كل بحرين في العالم، وذلك في أي مكان، كالبحر الأحمر والأبيض، والبحر الأبيض والمحيط الأطلنطي، والبحر الأحمر والمحيط الهندي.. إلخ، ولهذا جاء النص: (يَلْتَقِيَانِ) أي: عند مُلتقى كلٌ منهما

(55)- انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 7 / 137/ 138.

(56)- انظر: الرازي، التفسير الكبير، 15 / 99.

(57)- انظر: أحمد الدردير، شرح الخريدة البهية ص: 23 / 24/ 25.

(58)- انظر: الرازي، التفسير الكبير، 15/ 100.

(59)-انظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير 3 / 298.

(60)- انظر: الآلوسي، تفسير روح المعاني: 27 / 106، والشنقيطي، أضواء البيان: 7 / 529 / 530.

بالآخر[61]. فالبحوث العلمية الحديثة تجزم بأن المُراد بالبحرين هما البحران المالحان، والعلم عند الله تعالى، والكلام في مثل هذه الآيات الكونية طويل الذيل، وشائكٌ ومتشعب، وتكفى تلك الإشارات السريعة في مثل هذا البحث الموجز.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخاتمة.

أولاً- أهم النتائج:

أهم نتائج هذا البحث يمكن إجمالها فيما يلي:

1- أن آيات البحرين من الآيات الكونية، التي تدل على الدقة والإبداع والتنسيق العجيب، ولابد أن يكون وراء ذلك قدرة إلهية عظيمة.

2- أن هناك بعض الآيات القرآنية كالآيات موضوع البحث كشف عنها العلم الحديث، والبحوث التجريبية، بطريقة يتضح فيها أن هذا القرآن كلام الله تعالى.

3- أن القرآن الكريم لا يتعارض مع النظريات العلمية الحديثة، لأنه كلام الله تعالى، وأيّ نظرية علمية حديثة تتناقض مع القرآن الكريم أو الحديث الصحيح فإنها نظرية ناقصة الأركان والشروط، ولم تنضج بعد.

4- أن هناك آيات علمية فسرها العلماء الأقدمون بحسب الإمكانيات التي كانت متاحة في زمانهم، وهم لم يدخروا جهداً في ذلك، ولكنهم كانوا مع ذلك متيقنون أن لتلك الآيات مغزي آخر لم يصلوا إليه، وأن ذلك المغزي وذلك المرمي ستكتشفه الأجيال القادمة.

5- أن القرآن الكريم مليء بما يحتاجه الباحثون في شتي المجالات المختلفة، ولكن ذلك يحتاج إلى معرفة وخبرة واطلاع.

6- أن آيات البحار كثيرة في كتاب الله تعالى، ذلك لأن الماء هو سر الوجود وجوهر الحياة، ولكن اختيار آيات البحرين يتناسب مع هذا البحث الموجز الذي لا يليق به التطويل.

ثانياً- التوصيات:

يوصى الباحث إخوته الباحثين في هذا المجال من اساتذة وطلاب بالبحث بتمعنٍ وروية في آيات كتاب الله تعالى، وذلك حتى يقف الباحث على دقائق وعجائب هذا الكتاب العظيم، ويعرف مدى روعة ودقة القرآن الكريم، فهناك آيات تحتاج إلى الغوص في مراميها البعيدة، وبطريقة متأنية، للربط والمقارنة بينها وبين العلم الحديث، الذي ساعد الكثيرين على كشف الجديد في مجال التفسير وعلوم القرآن الكريم.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن كثير: أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار التراث.
- أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى المشهور بأبي السعود الحنفي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تحقيق أبي مريم محمد بن علي جيلاني، المكتبة التوفيقية.

(61)-انظر: كتاب (العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه؟)، مرجع سابق، ص: 55/ 56 / 57، وانظر ماهر أحمد صوفي، كتاب (آيات الله في البحار)، ص: 13 / 51.

- أبوبكر ابن العربي: محمد بن عبد الله الأندلسي المالكي، أحكام القرآن، توزيع شركة القدس، القاهرة، الطبعة الأولى 1429هـ – 2008م.
- أحمد الدردير: أبو البركات أحمد بن محمد المشهور بالدردير المالكي، شرح الخريدة البهية، تحقيق حسين عبد الرحيم مكي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده.
- الآلوسي: محمود شكري الآلوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، إدارة الطبعة المنيرية، بيروت، لبنان.
- البغوي: محمد بن الحسين بن مسعود الفراء البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، دار الفكر، الطبعة الأولى 1433هـ – 2012م.
- البيضاوي: ناصر الدين بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الطبعة الحلبية.
- الجلالين: جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين بحاشية الشيخ أحمد الصاوي، الطبعة الحلبية.
- الرازي: فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي، التفسير الكبير، تحقيق هاني الحاج وآخر، المكتبة التوفيقية.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السابعة عشرة 1412هـ – 1992م.
- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الحاوي للفتاوي، تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية.
- الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق أبي حفص عمر المكاوي وآخر، المكتبة التوفيقية، الطبعة الثالثة 2014م.
- الصاوي: أحمد بن محمد الصاوي الخلوتي المالكي، حاشية الصاوي على الجلالين، الطبعة الحلبية، 1360هـ-1941م.
- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (شيخ المفسرين)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق هاني الحاج وآخَرِينَ، المكتبة التوفيقية.
- عبد الله عبد الرحمن العبادي، العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه؟، دار الثقافة، قطر، الدوحة، الطبعة الأولى 1405هـ -1985م.
- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المالكي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق محمد إبراهيم الحفناوي وآخر، دار الحديث، القاهرة، طبعة 1431هـ – 2010م.
- ماهر أحمد صوفي، آيات الله في البحار، دار البيان، الطبعة الأولى، 1416هـ – 1996م.
- محمد البشار المالكي، نظم أسهل المسالك في شرح الجعلي المسمي (سراج السالك)، دار الفكر 1402هـ -1982م.
- محمد المختار ولد أباه الشنقيطي، خلاصة الأدلة من التجريد واختصار التمهيد، دار الكتب العلمية.
- محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر الشريف)، التفسير الوسيط، دار السعادة.
- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني.
- محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، دار الجيل، بيروت، الطبعة الرابعة 1388هـ – 1968م.
- مُلّا علي القارئ الحنفي، الحذر في أمر الخضر، تحقيق محمد خير رمضان، دار القلم، دمشق، طبعة 1411هـ – 1991م.